

الفصل الأول

انتشار الإسلام في دولة الكانم والبرنو

- أ. الحياة الدينية في الكانم والبرنو قبل وصول الإسلام
- ب. وصول الإسلام إلى الكانم والمغرب .
- ج. وسائل انتشار الإسلام في الكانم والبرنو .
- د. عوامل انتشار الإسلام في الكانم والبرنو .
- هـ. إسلام الأسرة الحاكمة ودورها في نشر الإسلام .
- و. أثر الإسلام على مظاهر الحياة في الكانم والبرنو .

أ - الحياة الدينية في الكانم والبرنو قبل وصول الإسلام

إن انتشار الإسلام في بلاد الكانم موضوع من الأهمية بحيث رأينا أن نخصص هذا الفصل لتناوله ، وتأتي هذه الأهمية بحكم ارتباط الموضوع بفكرة البحث الرئيسة وهي العلاقات بين بلاد المغرب ودولة الكانم والبرنو ، فالإسلام كان من أقوى الروابط التي وطدت العلاقات بين الطرفين ، فإذا كانت الروابط السياسية والاقتصادية ترتبط عادة بمصالح معينة ، وقد تتعرض لنكسات تبعاً للظروف التي تمر بها المنطقة فإن العامل الديني أفرز نوعاً جديداً من العلاقات لا تتأثر بالظروف السياسية ، ومن جهة أخرى تتمثل أهمية الموضوع في تأثيره الإيجابي على بقية العلاقات بما أسهم في توطيد هذه العلاقات ، أو بمعنى آخر فإن انتشار الإسلام في تلك البلاد قد دفع حكامها إلى إقامة علاقات سياسية واقتصادية متميزة مع بلاد المغرب .

لابد لكي نعرف تأثير الإسلام على حياة المجتمع في الكانم والبرنو أن نحاول التعرف على الحياة الدينية في البلاد قبل وصول الإسلام لإدراك مدى التغيير الذي طرأ على مظاهر الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية في تلك البلاد بانتشار الإسلام .

إن أغلب المعلومات التي وردت إلينا عن الأحوال العامة في بلاد الكانم والبرنو قبل دخول الإسلام هي معلومات غير دقيقة ⁽¹⁾ ويغلب عليها الطابع الأسطوري حتى في أسماء الملوك وأعمالهم ⁽²⁾، ولكننا سنحاول من خلال تحليل بعض الاشارات الواردة في المصادر القديمة أن نتعرف على الحياة الدينية في بلاد الكانم قبل وصول الإسلام .

إن أول ما نلاحظه على الحياة الدينية تنوع مظاهر العبادة تبعاً لحالة التشتت القبلي التي عاشتها المنطقة قبل الإسلام ، فالبكرى يصف الزغاوة بأنهم سودان مشركون ، ويفصل الأمر بقوله " أنهم كانوا في ماضيهم عبدة أوثنان تسمى

(1) ديوان الكانم والبرنو - ص 132 .

(2) المصدر نفسه - ص 132 .

الدكاكير " (1) كما يذكر الدمشقي أنهم كانوا يدفنون مع الميت أعز ممتلكاته من الحلي والألبسة والأواني والأسلحة (2)، بما يوحي بايمانهم بعقيدة البعث بعد الموت، ربما تسربت هذه العقيدة من شمال وأدى النيل حيث كانت معروفة عند المصريين القدماء إلى حوض النيل الجنوبي ثم انتقلت إلى منطقة بحيرة تشاد بواسطة الهجرات التي استقرت في المنطقة، كما كان من مظاهر الحياة الدينية عند الزغاوة عبادة الملوك حيث ذكر الحموي "أن ديانتهم عبادة ملوكهم ، يعتقدون أنهم الذين يحيون ويميتون ويمرضون ويصحون " (3)، ويبدو أن الملوك قد حرصوا على غرس هذه العقيدة في نفوس أتباعهم وذلك بخلق هاله من القداسة والغموض حول أنفسهم حيث ذكر الحموي أن طعامهم كان يدخل إلى بيوتهم سراً ولا يعلم أتباعهم مصدره ، فإذا أتفق لأحد من الرعية أن يلقي الأبل التي تحمل طعام الملك فانه يقتل في نفس الوقت (4) وقد استغل الملوك هذه العقيدة في تثبيت ملكهم وزيادة نفوذهم حيث كانت يد الملك مطلقة في رعاياه ويسترق منهم من يشاء (5).

أما قبائل الصو فيبدو من خلال الرسوم التي تركوها انهم عبدوا بعض الحيوانات كالثور والحصان والكبش (6) ، كما يبدو أن لبعض القبائل أماكن مقدسة تلجأ إليها عند الحاجة ، ففي حالات الجفاف كانوا يذهبون إلى هذه الأماكن يقدمون اللحم والدهن ثم يتضرعون لإنقاذهم من الجفاف (7) ، كذلك مما يدل على وجود أوثان مقدسة ما ورد من أن الماي دونمه بن عبدالجليل "618- 656 هـ/1221-

(1) -الدكاكير : مفردا د كوروهو أسم فى لغتهم يطلقونه على الأصنام التى يعبدونها - البكر ي-

المصدر السابق - ص172 ، أنظر أيضاً الدمشقي، المصدر السابق ، ص 268 .

(2) - الدمشقي - المصدر السابق - ص268

(3) -الحموي - المصدر السابق ج 3 - ص142

(4) - المصدر نفسه - ج 3 - ص 142

(5) -المصدر نفسه - ج 3 - ص 142

(6) - فضل كلود - المرجع السابق - ص54

(7) - الشاطر البوصيلي - المرجع السابق - ص34

1258م " قد حطم الوثن المعروف بأسم ميون ⁽¹⁾ ، وكانت عبادته لاتزال قائمة في عهده في بعض أجزاء كانم وتيبستي .

لقد أدى هذا التشتت الديني الناتج عن غياب الدين السماوي الذي ينظم حياة الأفراد والجماعات إلى حالة من الفوضى ، حيث يذكر الوزان أن قبائل الزغاوة دأبت على الأغارة وقطع الطريق على المسافرين والتجار والاستيلاء على ممتلكاتهم ⁽²⁾ .

كذلك سادت المجتمع الكانمي قبل وصول الإسلام بعض العادات السيئة كشراب الخمر وتقديم القرابين للآلهة ، بالإضافة إلى الأعمال المخلة بالأمن كالسرقة و قطع الطريق ، ولاشك ان هذه البيئة الفاسدة كانت من عوامل انتشار الإسلام في المنطقة .

ب - وصول الإسلام إلى الكانم والبرنو

لقد كان وصول الإسلام إلى الكانم والبرنو أمرا متوقعا بعد فتح شمال أفريقيا بحكم العلاقات التجارية التي تربط منطقة شمال أفريقيا بالسودان الأوسط ، وبحكم الهجرات التي تتحرك من مناطق الصحراء نحو بحيرة تشاد فمن الطبيعي أن يتسرب هذا الدين الجديد مع القوافل التجارية والهجرات القبلية إلى بلاد الكانم والبرنو .

أما طريقة وصول الإسلام إلى المنطقة فقد تعددت فيها الروايات حيث جاء في مخطوطة عربية عثر عليها الفرنسي " دوميزيير " في مدينة تمبكتو أن اربعة من جنود جيش عمر بن عبدالعزيز " 99 - 101 هـ - 717 - 719 م " جاءوا من

(1) -ميون : مخلاة صغيرة خيبت بخيوط كثيرة متنوعة لتكسبها جمالا ورهبة ، ولم يفكر المايات السابقون لدومة في فتح هذه المخلاة خوفا من العواقب بسبب ما أشيع حول هذا الوثن من أساطير ولكن دونمة دباليهي فتح هذه المخلاة ولم يجد فيها شيئا فأمر بوضعها بحيث يراها الناس ليتأكدوا أن ما أشيع حول هذا الوثن لا يعدو أن يكون خرافات " انظر : ابراهيم صالح - المرجع السابق ص69

(2) -الوزان - المصدر السابق - ص293

اليمن إلى منطقة بحيرة تشاد فنشروا الإسلام وقتلوا حكام كانم والبرنو ، ونصب أحدهم ويسمى أدريس نفسه ملكاً عليها⁽¹⁾.

إن هذه الوثيقة لم تذكر لنا سبباً مقنعاً يجعل هؤلاء الجنود الأربعة يغادرون اليمن ويتجهون إلى منطقة بحيرة تشاد وإن كان من المتوقع أن ينتقل الأفراد من مكان إلى آخر لأسباب قد تكون مجهولة ، ولكن مايجعلنا نشك في صحة المعلومات الواردة في هذه الوثيقة ماورد فيها من أن هؤلاء الأربعة قد قتلوا حكام الكانم والبرنو ونصبوا أحدهم ملكاً على البلاد ومصدر شكنا من ناحيتين : -

1 - أن دولة الكانم والبرنو لم تكن موجودة في تلك الفترة حسب أرجح الآراء فكما رأينا في حديثنا عن تأسيس الدولة أنها ظهرت فيما بين" الثاني والثالث الهجري" أواخر القرن الثامن وبداية التاسع الميلادي⁽²⁾، بينما عاش عمر بن عبد العزيز في بداية القرن الثاني الهجري والقرن الثامن الميلادي⁽³⁾ وكانت منطقة بحيرة تشاد في تلك الفترة تنقسمها التجمعات القبلية ولم تخضع لسلطة مركزية .

2 - أن وصول الجنود كدعاة استقروا في المنطقة ونشروا الإسلام هناك بصورة سلمية أمر يمكن تصديقه ، قد يكون هؤلاء الأربعة مبعوثين من قبل الدولة لغرض نشر الإسلام في المنطقة⁽⁴⁾ ، ولكن الأمر الذي يدعو إلى الشك ما ذكرته الوثيقة من أن هؤلاء الأربعة قتلوا حكام الكانم والبرنو ونصبوا أحدهم ملكاً على المنطقة فمن المستحيل أن يتمكن هذا العدد البسيط من قتل حكام أى مملكة وتنصيب أحدهم ملكاً بهذه الصورة التي ذكرتها الوثيقة ، فضلاً عن عدم ذكر هذا الملك سواء في الروايات المحلية أو في المصادر العربية القديمة .

(1)-Palmer - The Bornu sahara - p6

(2) - Samuel Decalo – historical dictionary of Chad –p 9 .

(3)- المسعودي - المصدر السابق - ج 3 - ص 182

(4) -قد بنينا هذا الافتراض على إهتمام عمر بن عبدالعزيز بنشر الإسلام وإرسال الدعاة إلى المناطق البعيدة ، ومنها إرساله لعشرة من الدعاة الي جنوب بلاد المغرب لنشر الاسلام { انظر ابو محمد بن عدارى - البيان المغرب فى أخبار الاندلس و المغرب -تحقيق: احسان عباس- بيروت -الدار العربية للكتاب - 1983-ج 1 -ص 83 - انظر أيضاً- السيد عبدالعزيز سالم - المغرب الكبير - القاهرة - الدار القومية للطباعة والنشر - 1966م-ج 2 -ص 290 }

أما البكرى فيذهب إلى أن هناك قوم من بنى أمية صاروا إليهم عند محنتهم بالعباسيين ⁽¹⁾، ويبدو أن البكرى غير مقتنع بهذه الرواية إذ يبدأ عبارته بقوله: {هم سودان مشركون} ⁽²⁾، ثم يؤكد شكه بقوله {ويزعمون} فالبكرى هنا يعتمد على الروايات المحلية ولا يبدو من خلال صياغته للرواية أنه يصدقها .

إن الروايات المتعلقة بوصول الإسلام إلى بلاد الكانم تتعدد بتعدد الشخصيات التي يعتقد أنها أسهمت في مهمة نشر الإسلام في المنطقة ، فالعمري يقول : "إن أول من بث الإسلام فيها الهادي العثماني ، ادعي انه من ولد عثمان رضي الله عنه ، وصارت بعده لليزينيين من بني يزن " ⁽³⁾ وما نفهمه من رواية العمري أن هذا الداعية قد جاء قبل ظهور الاسرة السيفية من خلال عبارة: {وصارت بعده لليزينيين من بني يزن} ⁽⁴⁾، ولاندري هل كان لهذا الرجل دور سياسي أم أن دوره اقتصر على الدعوة الإسلامية فرواية العمري توحى بانتقال الحكم من هذا الرجل إلى الأسرة السيفية ، ولكن المرجح أن هذا الرجل إذا صح وجوده كان مجرد داعية إسلامي حيث لم يرد في المصادر أي دور سياسي له .

كذلك هناك رواية محلية متداولة عند الهوسا تذكر أن شخصا يدعى ابي يزيد الفزاري كان يدعو للإسلام في كانم وبرنو في نهاية القرن السابع ومطلع الثامن ⁽⁵⁾ ، ولم تذكر لنا الرواية أي تفاصيل عن أصل هذا الرجل وجهة قدومه ، وإن

(1) -البكري - المصدر السابق - ص11

(2) -المصدر نفسه - ص11

(3) - العمري - المصدر السابق - ج2- ص97

(4) - المصدر نفسه - ص491

(5) - طرخان -المرجع السابق - ص66

كان واضحاً من خلال الاسم أنه ينتمي الى قبيلة عربية معروفة هي قبيلة فزارة⁽¹⁾.

إن أبرز ما تتفق عليه هذه الروايات هو أن الإسلام قد دخل المنطقة بصورة سلمية حيث انتشر انتشاراً هادئاً دون اللجوء إلى العنف عبر الطرق التجارية التي كانت تربط منطقة بحيرة تشاد بشمال أفريقيا ، وهذه الطريقة السلمية تختلف عن الفتح العسكري في أن الأخير يمكن تحديده بزمان ومكان معينين ، وتبرز فيه أسماء القادة الذين قادوا العمليات العسكرية ، أما الطريقة السلمية فلا نستطيع حصرها في زمان معين أو مكان معين ، كما أن الكثير من رجالها يبقى مغموراً لا تتطرق إليه المصادر التاريخية ، فهي عبارة عن جهود فردية أو جماعية قد تستغرق فترة طويلة لأنها تعتمد على المخالطة والإقناع التدريجي ، ومن هذا المنطلق قد تكون الروايات التي ذكرناها لها أساس صحيح ، وقد يكون بعضها وصلنا مختلطاً بالأساطير ، ولا يستبعد وجود الكثير من الدعاة والتجار الذين أسهموا في نشر الإسلام في المنطقة ، ولم يرد ذكرهم في هذه الروايات ، فنحن أمام ظاهرة تاريخية شارك في صنعها عشرات من الرجال واستغرقت زمناً طويلاً حتى أصبح الإسلام هو دين الغالبية في هذه المنطقة.

أما تاريخ انتشار الإسلام في المنطقة فلا نستطيع تحديد تاريخ دقيق له بحكم أن الإسلام انتشر بشكل تدريجي ، ولكن المرجح من خلال الروايات التي تناولت هذا الموضوع أن انتشار الإسلام كان خلال القرن الثاني الهجري / الثامن الميلادي حيث انحصرت أغلب الروايات في هذه الفترة ، فإذا صحت رواية المهاجرين من بنى أمية⁽²⁾ بعد سقوط دولتهم ، فإن هذه الهجرة يكون تاريخها خلال القرن الثاني

(1) - لقد نزحت بطون من قبيلة فزارة من شبه الجزيرة العربية واستقروا في صعيد مصر ثم امعنوا نحو الجنوب حتي اقتربوا من حدود النوبة "أنظر أحمد ابن أبي يعقوب اليعقوبي- البلدان - بيروت - دار صادر - (د.ت) ص 333- انظر أيضاً : حسن احمد محمود المرجع السابق - ص 89 "

طرخان - المرجع السابق - ص 32

(2) - البكري - المصدر السابق - ص 11 .

الهجري (الثامن الميلادي) ⁽¹⁾ ، وكذلك نفهم من رواية العمرى عن الهادى العثماني ⁽²⁾ أنه كان موجوداً بالمنطقة خلال هذه الفترة حيث جاء في هذه الرواية " وصارت بعده لليزنيين " ⁽³⁾ ومعروف أن الأسرة السيفية قد بدأ حكمها للبلاد في (الثاني الهجرى) أواخر القرن الثامن الميلادي على أرجح الآراء ، كما أن الرواية المتعلقة بأبى يزيد الفزارى ذكرت أنه بدأ دعوته مع مطلع القرن الثاني الهجري ⁽⁴⁾ الثامن الميلادي ، وينطبق هذا أيضاً على الجنود الذين وصلوا إلى المنطقة في عهد عمر بن عبدالعزيز الذي حكم في بداية القرن الثاني الهجري (الثامن الميلادي) ، لذلك نرجح هذه الفترة كبداية لتغلغل الإسلام في منطقة بحيرة تشاد .

بقى عامل مهم أدى إلى انتشار الإسلام في هذه المنطقة ، ولهذا العامل علاقة بعمليات الفتح العسكري لشمال أفريقيا ، ويتمثل هذا العامل في وصول الجيش الإسلامي إلى منطقة متاخمة لمنطقة بحيرة تشاد من الشمال وهي منطقة كاوار حيث تذكر المصادر أن أهل مدينة ودان نقضوا عهدهم الذي عاهدوا عليه بسر بن ابى أرطأة ⁽⁵⁾ سنة (23هـ/643م) فخرج عقبة على رأس فرقة من جيشه إلى ودان ⁽⁶⁾ فحاصرها واستولى عليها ثم توغل في الجنوب فاستولى على " جرمه "

(1) - لقد أستدنا في هذا الترجيح على أن الدولة الأموية سقطت في الثلث الأول من القرن الثاني الهجرى (الثامن الميلادى) (132 هـ - 749 م) حيث فر بعض بنى أمية إلى شمال أفريقيا وكان أبرزهم عبدالرحمن بن معاوية الذى نجح فى تأسيس دولة فى الأندلس ، أنظر محمد ابن القاسم ابن ابى دينار -المؤنس فى اخبار افريقيا وتونس -بيروت-دار المسيرة-1993-ص 57 .

(2) -العمرى - المصدر السابق - ج 2 ص 97

(3) -المصدر نفسه - ص 97

(4) -طرخان - المرجع السابق - ص 66 .

(5) - بسر بن أبى أرطأة : ولد سنة 2 هـ ، ودخل مصر مع جيش عمرو بن العاص ، كما أشترك فى فتح برقة ومصر ، وفتح ودان سنة 23 هـ وواصل جهاده فى المغرب ثم رجع وأشترك مع معاوية فى معركة صفين ، وتوفى سنة 86 هـ " أنظر البكري -المصدر السابق-ص 12 ،انظر ايضا خير الدين الزركلى - الأعلام - بيروت - دار العلم للملايين " 1984 م ج 2 - ص 51 .

(6) - ودان : بينها وبين زويلة عشرة أيام ، ولها قلعة حصينة ، وفتحها بسر بن أبى أرطأة سنة 23 هـ (أنظر : الحموى - المصدر السابق - ج 5 - ص 366) .

ثم سأل أهل فزان ، هل من ورائكم أحد ؟ فقالوا أهل خاور فسار إليها خمس عشرة ليلة فلما وصلها دعا أهلها للإسلام فأبوا وطلب منهم الجزية فامتنعوا بحصونهم ، وأقام على حصارهم شهراً دون جدوى ، ثم تقدم بجيشه جنوباً ففتح بقية بلاد كاوار حتى أتى على آخرها ثم عاد ، وربما يرجع سبب عدم دخول جيش عقبة إلى منطقة بحيرة تشاد، أن قواته كانت قليلة العدد فاعتمد على الغارات الخاطفة الملائمة لحرب الصحراء ، ولم يكن مستعداً لعملية الفتح المنظم الذي قد يستغرق فترة طويلة وفي طريق عودته فاجأ عقبة أهل خاور واستولى على مدينتهم⁽¹⁾.

وتذكر بعض المصادر القديمة أن هذه الحملة قد وقعت سنة 46 / 666م⁽²⁾ واستغرقت خمسة شهور ، وقد صحح مؤرخ معاصر⁽³⁾ هذا الخطأ وذكر أن الحملة كانت سنة 49 هـ على اعتبار أن عقبة سار بعد هذه الحملة إلى الشمال حيث بنى مدينة القيروان سنة 50 هـ / 670 م ، فلا يعقل أن تستغرق هذه الحملة خمسة شهور بينما تستغرق عودة عقبة للشمال ثلاث سنوات .

إن مايمكن استنتاجه من أخبار هذه الحملة هو أن عقبة قد توغل بجيشه حتى وصل الحدود الشمالية لمنطقة كانم ، وتدلنا على هذا التوغل عبارة وردت في المصادر وهي أن عقبة (افتتح كوراً من بلاد السودان)⁽⁴⁾ ، كذلك مما يؤكد هذا التوغل عبارة وردت في المصادر من أن عقبة تقدم بجيشه جنوباً لفتح بقية بلاد

(1) - عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم - فتوح إفريقيا والاندلس - تحقيق: عبدالله انيس الطباع - بيروت - دار الكتاب اللبناني - 1964 - ص 52، انظر أيضاً : حسين مؤنس - فتح العرب للمغرب - القاهرة - مكتبة الثقافة الدينية - (د . ت .) ص 136

(2) - عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم - فتوح مصر وأخبارها - القاهرة - مكتبة مدبولي - 1999 - ص 194 .

(3) - حسين مؤنس - المرجع السابق - ص 137 .

(4) - الحافظ الذهبي - العبر في خبر من غير تحقيق : محمد السعيد - بيروت - دار الكتب العلمية - 1985 - ج 1 - ص 37 .

كاوار ففتحها حتى أتى على آخرها ⁽¹⁾ ، وحيث إن بلاد كاوار تتاخم بلاد الكانم من الشمال فيمكن اعتبار أن آخر هذه البلاد متصل بأول بلاد الكانم من جهة الشمال .

إن وصول الإسلام على يد عقبة إلى إقليم كاوار الذي يرتبط بمنطقة بحيرة تشاد بروابط تجارية وثيقة واستمرار حركة هجرة القبائل من الشمال إلى الجنوب يجعلنا نؤكد باطمئنان أن لهذه الحملة علاقة وثيقة ببداية انتشار الإسلام في منطقة بحيرة تشاد بشكل سلمي نتيجة للعلاقات التجارية التي تربط بين المنطقتين على اعتبار أن حملة عقبة سلكت الطريق القديم الذي كان يصل كانم بساحل طرابلس لذلك يبدو أن التأثيرات الإسلامية في كانم تسربت إليها من هذا الطريق ⁽²⁾ ، كذلك مما يؤكد دور هذه الحملة في نشر الإسلام في مناطق جنوب الصحراء أن الحموي عند حديثه عن بناء مدينة القيروان قال " (وسار إلى أفريقيا ونازل أهلها وأسلم على يديه خلق كثير من البربر وفشا فيهم دين الله حتى أتصل ببلاد السودان ، فجمع عقبة حينئذ أصحابه وقال " إني رأيت أن أبنى هاهنا مدينة يسكنها المسلمون ، فأستصوبوا رأيهم وبني القيروان ⁽³⁾ .

ويمكن من خلال رواية الحموي عن بناء مدينة القيروان أن نستنتج مايلي: -

1 - تأكيد مذكراته من أن حملة عقبة على جنوب فزان كان لها دور في نشر الإسلام في المناطق الواقعة جنوب الصحراء ويتضح هذا من قول الحموي " وفشا فيهم دين الله حتى أتصل ببلاد السودان " ⁽⁴⁾

2 - وجود علاقة بين انتشار الإسلام في جنوب الصحراء وبناء مدينة القيروان فالحموي بعد أن ذكر وصول الإسلام إلى بلاد السودان قال "فجمع عقبة حينئذ

(1) - الذهبي- المصدر السابق - ج 1 - ص 37 .

(2) -أمين الطيبي - كانم برنو بالسودان الأوسط في العصر الوسيط - مجلة المؤرخ العربي- بغداد ع 37 - 1988 - ص 121 .

(3) -الحموي - المصدر السابق - ج 4 - ص 420 .

(4) - المصدر نفسه - ج 4 - ص 420 .

أصحابه" (1) وبمعنى أن التفكير في بناء القيروان جاء نتيجة لانتشار الإسلام في المنطقة أي أنه جعل انتشار الإسلام ببلاد السودان أحد مبررات إنشاء القيروان في منتصف القرن الأول للهجرة /السابع الميلادي ، ويؤكد هذا ما ذكرناه من أن عقبة شرع في بناء القيروان بعد رجوعه من الحملة مباشرة (2) إذاً من الممكن القول إن الإسلام قد بدأ يتسرب إلى المنطقة منذ النصف الثاني من القرن الأول للهجرة/السابع الميلادي واستمر هذا التسرب طيلة القرن الثاني للهجرة/ الثامن الميلادي وهو تاريخ يتفق إلى حد كبير مع الروايات التي تحدثت عن وصول الإسلام إلى بلاد الكانم والبرنو خلال القرن الثاني الهجري/الثامن الميلادي (3) .

مسالك الإسلام إلى بلاد الكانم والبرنو

أولاً / مسالك الإسلام إلى أفريقيا : -

قبل ان نتطرق إلى موضوع مسالك الإسلام إلى بلاد الكانم والبرنو لابد أن نلقى نظرة موجزة على الطرق التي دخل عن طريقها الإسلام إلى أفريقيا ، على اعتبار أن بلاد الكانم والبرنو جزء من هذه القارة وقد وصل الإسلام إلى هذا الجزء بعد أن مر بأجزاء أخرى من أفريقيا ، وقد تناولت أغلب المراجع هذا الموضوع بشكل أصبح فيه غنى عن التفصيل لذلك سنتناول هذا الموضوع بإيجاز كمدخل إلى النقطة الرئيسية وهي طرق وصول الإسلام إلى الكانم والبرنو .

لقد دخل الإسلام إلى إفريقيا عبر طريقين ربطا هذه القارة بالشرق وهذان الطريقان هما : -

1 - طريق شبه جزيرة سيناء / وهو المعبر البرى الوحيد الذي يربط أفريقيا بآسيا، ويمكننا القول أن الإسلام دخل إلى القارة الأفريقية من خلال هذا الطريق عبر مرحلتين:-

(1)- الحموي - المصدر السابق - ج 4 - ص 420 .

(2) -المصدر نفسه - ج 4 - ص 420 .

(3) -العمري - المصدر السابق - ج2-ص 97 - ، البكرى - المصدر السابق - ص11.

أ - مرحلة الفتح العسكري :- وقد بدأت هذه المرحلة منذ دخول عمرو بن العاص إلى مصر فاتحا سنة 19 هـ / 640 م في عهد الخليفة عمر بن الخطاب حيث طرد الروم من مصر ⁽¹⁾، ومنذ ذلك التاريخ أصبحت مصر القاعدة الإسلامية التي عبرت منها جيوش الفتح إلى بقية شمال أفريقيا طيلة القرن الأول للهجرة بداية من عمرو بن العاص حتى آخر القادة الذين رسخوا الإسلام في شمال أفريقيا وهو موسى بن نصير ⁽²⁾.

ب - مرحلة الهجرات السلمية : إذا كانت مرحلة الفتح العسكري قد نجحت في إخراج الروم من شمال أفريقيا وكسرت شوكة مقاومة بعض القبائل البربرية فإن مرحلة الهجرات السلمية التي استقرت في شمال أفريقيا بعد أن عبرت مصر كان لها دورها البارز في بلاد المغرب ⁽³⁾، ولعل أبرز هذه القبائل بنى هلال وبنى سليم التي كان لها دور كبير في نشر اللغة العربية في شمال أفريقيا .

2 - طريق باب المندب ، وهو مضيق بحري يفصل بين قارة أفريقيا وآسيا في جنوب البحر الأحمر ، وقد ربط هذا المضيق منذ عصور قديمة بين العرب والأفارقة

حيث عبرته بعض الهجرات التي استقرت في منطقة الساحل الشرقي لإفريقيا ، بالإضافة إلى الحركة التجارية الكبيرة بين منطقتي الخليج العربي وبلاد اليمن وبين مناطق شرق أفريقيا ، لذلك كان من الطبيعي أن يتسرب الإسلام مع الهجرة

(1) -ابن عبد الحكم - فتوح مصر وأخبارها - ص 76 .

(2) -موسى بن نصير :ولد سنة 19 هـ في خلافة عمر بن الخطاب وكان والده على حرس معاوية ، وقد تولى موسى أفريقيا سنة 77هـ وتمكن من مواصلة فتح بلاد المغرب حتى وصل إلى بلاد السوس بالمغرب الأدنى ثم شارك في فتح الأندلس وأمره الخليفة الوليد بن عبدالمك بالعودة إلى دمشق فوصلها في خلافة سليمان بن عبدالمك وتوفي سنة 97 هـ، أنظر- ابن خلكان- المصدر

السابق-ج3 ص 160

(3) -أحمد ابن أبي يعقوب اليعقوبي- البلدان - بيروت - دار احياء التراث الاسلامي -1988-

ص94 - أنظر أيضاً - الادريسي - المصدر السابق - ص133

والتجارة إلى شرق أفريقيا ، وقد بدأ هذا التسرب مع الهجرة الأولى للحبشة (1) التي وصل عن طريقها الإسلام إلى القارة الأفريقية قبل أن يصل إلى المدينة المنورة ، ثم تواصلت الهجرات من شبه الجزيرة العربية إلى مناطق شرق أفريقيا وظهرت جاليات إسلامية كبيرة في تلك المناطق ونجحت هذه الجاليات في إقامة عدد من الممالك الإسلامية التي كان لها دور في نشر الإسلام في المنطقة (2)

ثانياً / مسالك الإسلام إلى بلاد الكانم والبرنو

بعد ان تعرفنا في لمحة موجزة على الطرق التي سلكها الإسلام إلى القارة الأفريقية سنتحدث عن وصول الإسلام إلى مناطق جنوب الصحراء لنجد أنه وصل إلى هذه المنطقة من خلال الشمال والشرق (3)، أما بلاد الكانم فأول ما نلاحظه في هذا الموضوع أن الإسلام بحكم ارتباط انتشاره في المنطقة بالتجارة والهجرة ، وبحكم وجود علاقات تجارية وهجرات سابقة إلى المنطقة قبل ظهور الإسلام فإن الإسلام قد وصل إلى بلاد الكانم عبر نفس الطرق القديمة التي سلكتها الهجرات والقوافل التجارية فقد رأينا عند حديثنا عن حملة عقبة التي وصلت إلى مشارف بلاد الكانم (4) إنها سلكت نفس الطريق القديم الذي يربط الساحل بالصحراء ، ويرجع هذا بالتأكيد إلى عوامل تتعلق بأتساع الصحراء وقلة الماء ، وانتشار الواحات والمراكز التجارية على طول هذا الطريق (5) لتزويد القوافل بالماء والزاد في رحلتها التي تستغرق شهوراً ، ومن هنا فإن حديثنا عن الطرق التي أوصلت الإسلام إلى منطقة بحيرة تشاد سيتعلق بالطرق التجارية ، لذلك سنتناول هذه الطرق بإيجاز على أننا سنتحدث عنها بتفصيل أكثر خلال تناولنا

(1) - ابن خلدون - المصدر السابق - ج 2 - ص 719 .

(2) - لمزيد من التفصيل حول هذه الممالك التي أقامتها الجاليات الإسلامية في شرق أفريقيا أنظر " رجب محمد عبدالحليم - العروبة والإسلام في أفريقيا الشرقية - القاهرة - دار النهضة العربية - 1999 م "

(3) N. Levtzion - R. Andal , L. Pouwels - The History Islam In Africa -Ohaio University United states Of American - 2000-p1

(4) - الحموى - المصدر السابق - ج 4 - ص 420 .

(5) - ابن حوقل - المصدر السابق - ص 100 .

للعلاقات الاقتصادية بين بلاد الكانم والمغرب في الفصل الثالث من هذا البحث ،
وتتلخص أبرز الطرق التي سلكتها الهجرات و القوافل فيما يلي : -

1- الطريق الذي يبدأ من طرابلس وينحدر جنوباً إلى بلاد الكانم ماراً بواحات
فزان ثم إقليم كاوار ويعبر جبال تيبستي حتى يصل إلى " جيمي " .

2- الطريق الذي يبدأ من جنوب تونس ويمر بواحات غدامس⁽¹⁾
وغات⁽²⁾ حتى يصل إلى إقليم برنو غرب بحيرة تشاد .

3- الطريق الذي يبدأ من أسبوط ويمر بواحات الصحراء الغربية ، ثم إقليم
دارفور حتى يصل إلى بلاد الكانم والبرنو .

هذه أبرز الطرق التي تصل مباشرة بين شمال أفريقيا وبلاد الكانم ، ولكن
هناك اتصالات أخرى عبر مناطق مجاورة لبلاد الكانم أسهمت أيضاً في نشر
الإسلام في المنطقة ، حيث تأثرت بلاد الكانم بالصلات الوثيقة التي ربطت مصر
ببلاد النوبة فقد انتقلت التأثيرات الإسلامية من مصر باعتبارها القاعدة الأولى
للإسلام في شمال أفريقيا إلى الجنوب على يد بعض القبائل العربية التي بدأت
تغادر مصر وتتطرق نحو الجنوب ومن بلاد النوبة لا نستبعد انتقال التأثيرات
الإسلامية إلى إقليمي كردفان ودارفور ثم إلى بلاد الكانم والبرنو ، كذلك ليس
هناك ما يمنع وجود تأثيرات إسلامية من ناحية الغرب فانتشار الإسلام في غرب

(1) - غدامس : منطقة كبيرة مسكونة حيث القصور العديدة والقرى المأهولة ، سكانها أغنياء لهم
بساتين ونخل وأموال لأنهم يتجرون مع بلاد السودان " أنظر الوزان - المصدر السابق - ج 2 -
ص 146 .

(2) - غات : إحدى المراكز التجارية في منتصف الطريق بين الساحل ومنطقة بحيرة تشاد وتصلها
بغدامس طريق تجارى ، كما ترتبط ببلاد كانم بطريق آخر مما أهلها لتكون حلقة وصل بين مناطق
الساحل ومنطقة بحيرة تشاد " أنظر - محى بوعزيز - طرق القوافل والأسواق التجارية بالصحراء
الكبرى "تجارة القوافل ودورها الحضارى حتى نهاية القرن التاسع عشر - بغداد - معهد البحوث
والدراسات العربية - 1984 - ص 131 ، لمزيد من التفاصيل حول هذه المدينة أنظر :نجمي رجب
ضياف -مدينة غات وتجارة القوافل الصحراوية -طرابلس -مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية
-1999م. "

إفريقيا قد أثر إيجابياً على منطقة السودان الأوسط بحكم موقع هذه المنطقة المتاخمة للسودان الغربي من الناحية الشرقية .

نخلص من هذا إلى أن مسالك الإسلام إلى بلاد الكانم والبرنو كانت متعددة بتعدد المناطق المتاخمة لهذه البلاد وتتباين أهمية هذه الطرق بتباين أهميتها بالنسبة للمنطقة بمعنى أن أهمية هذه الطرق ودورها في نشر الإسلام مرتبط بنشاط حركة التجارة والهجرة عبر هذه الطرق .

ج / وسائل انتشار الإسلام في الكانم والبرنو

عرفنا فيما سبق إجماع المؤرخين على أن الإسلام لم يصل إلى بلاد الكانم عن طريق الفتح العسكري بل وصل بطرق سلمية ، وقد استغرق انتشار الإسلام في المنطقة مدة طويلة ، كما تعددت المسالك التي وصل عن طريقها الإسلام ، وقد ترتب على هذا التعدد تنوع الوسائل التي انتشر بها الإسلام في المنطقة فمن الطبيعي أن ينتشر الإسلام بأكثر من وسيلة بعد استبعاد وسيلة الفتح العسكري ولعل أبرز هذه الوسائل :

1 - دور الهجرات في نشر الإسلام في بلاد الكانم والبرنو /

تعد الهجرات الجماعية التي تحركت من مضاربها في جنوب فزان وجبال تيبستي نحو منطقة بحيرة تشاد من أبرز الوسائل التي أدت إلى نشر الإسلام في المنطقة ، فهذه القبائل قد اعتنق أغلبها الإسلام بعد فتح بلاد المغرب ⁽¹⁾، ثم تحركت جنوباً فاستقرت في منطقة بحيرة تشاد واختلطت بالسكان المحليين عن طريق التجاور والمصاهرة وكان لها دور في نشر الإسلام بالمنطقة كذلك فإن الكثير من القبائل العربية التي غادرت شبه الجزيرة العربية واستقرت في مصر وبلاد المغرب قد نزحت نحو الجنوب واستقر بعضها في منطقة بحيرة تشاد ومن

(1) - الوزان - المصدر السابق - ج1- ص 68 .

أبرز هذه القبائل جهينة وجدام وربيعة وفزارة⁽¹⁾ ، وقبل أن نتناول أبرز القبائل التي هاجرت إلى بلاد الكانم وكان لها دور في نشر الإسلام، هناك سنحاول التعرف على أهم الأسباب الكامنة وراء هذه الهجرات وتتلخص فيما يلي: -

1 - أسباب اقتصادية وتتمثل في قسوة الطبيعة الصحراوية ، ونقص مصادر المياه والكلاً ، حيث كان من نتائج الجفاف تناقص السكان في الجزء الشمالي من المنطقة وتمركزهم في الجنوب ، فهذا الجفاف دفع القبائل للبحث عن مكان تتوفر فيه المياه والأرض الخصبة وكان أقرب مكان لهذه القبائل القاطنة جنوب فزان هو بحيرة تشاد .

2 - أسباب سياسية فالعامل الاقتصادي لم يكن وحده المحرك لظاهرة الهجرة من الشمال إلى الجنوب ولكن الأحداث السياسية التي شهدتها منطقة المغرب كانت من عوامل حركة الهجرة ، حيث كان الأباضية⁽²⁾ من بين أول وأكثر المجموعات التي أجبرت بعضها الظروف السياسية على مغادرة الشمال والهجرة جنوباً إلى الصحراء وبلاد السودان⁽³⁾ فبعد انتشار المذهب الأباضي في بلاد المغرب وبداية محاولاتهم تأسيس دولة في المنطقة على أساس المذهب الأباضي قام العباسيون بالتصدي لهم في عهد أبي جعفر المنصور (136-158هـ/753-774م) وقتل

(1) - اليعقوبي - البلدان - ص 94 . أنظر أيضاً : حسن أحمد محمود - المرجع السابق - ص 89 ، إبراهيم صالح - المرجع السابق - ص 1

(2) - الأباضية / فرقة إسلامية تنسب إلى عبدالله بن أباضي التميمي الذي ظهر في عهد مروان بن محمد وبايعه أتباعه سنة 129 هـ / 746م، وقد استحلوا بعض أموال مخالفيهم من الأمة رغم أنهم لم يكفروهم وأعتبروا أن دار مخالفيهم من المسلمين دار توحيد باستثناء معسكر السلطان فإنه دار بغى ، كما قالوا بأن الإصرار على الذنب كفر ، وقد ظهرت هذه الفرقة في عمان وحضر موت ثم انتقلت إلى بلاد المغرب وعاشت في صراع مع الولاة العباسيين " عبدالمنعم الحفنى - موسوعة الفرق والجماعات والمذاهب والأحزاب والحركات الإسلامية - القاهرة - مكتبة مدبولي 1999 م - ص 24 . أنظر أيضاً { رجب محمد عبدالحليم - الأباضية في مصر والمغرب - مسقط - مكتبة العلوم - 1990 .

(3) - صباح إبراهيم الشخلى - الوجود العربي في كانم في السودان الأوسط - مجلة المؤرخ العربي - عند 35 - 1988 م - ص 125 .

منهم حوالي 12 ألفاً⁽¹⁾ حيث تمكن الوالي العباسي محمد بن الأشعث من الانتصار عليهم وعلى أثر هذا الإنتصار انسحب بعض الأباضين جنوباً إلى منطقة فزان واستقروا في مدينة زويلة والمرجح أن الوجود الأباضي في زويله قد ساعد على تسرب العناصر العربية إلى بلاد كانم والبرنو ويؤكد هذا وجود علاقات تجارية بين زويله والكانم والبرنو حيث يذكر اليعقوبي أن سكان زويله " قوم مسلمون أباضيون "⁽²⁾ ، ويتحدث أيضاً عن وجود تجارة متبادلة بين الأباضيين وبلاد الكانم والبرنو⁽³⁾ والخلاصة أن الصراع بين العباسيين والقوى الأباضية في بلاد المغرب الأدنى قد دفع بعض العناصر إلى الهجرة جنوباً ، وكان لهذه الهجرات دور في نشر الإسلام في منطقة بحيرة تشاد .بالإضافة إلى هذين العاملين الأساسيين فهناك بعض العوامل التي تدخل بشكل مباشر تحت هذين العاملين ولكنها مرتبطة بأحداث معينة منها ضغط القبائل العربية التي استقرت في شمال أفريقيا على القبائل البربرية ونشوب بعض النزاعات حول مصادر المياه مما دفع هذه القبائل للهجرة جنوباً

كذلك فإن قدوم بني هلال وبني سليم إلى بلاد المغرب كان سبباً في هجرات قبائل كثيرة إلى منطقة الصحراء⁽⁴⁾ ، ومما يدل على تزايد نفوذ العرب على حساب السكان الأصليين أن الإدريسي ختم حديثه عن مدينة زويله بقوله : " وكل هذه الأراضي التي ذكرناها ملك بأيدي العرب "⁽⁵⁾ ، كذلك من العوامل التي شجعت القبائل على الهجرة خلو المنطقة من العوائق الطبيعية التي قد تعرقل هذه الهجرات، فمنطقة بحيرة تشاد تعد امتداداً لمنطقة الصحراء مما سهل الانتقال إلى هذه المنطقة والاستقرار بها .

(1) - ابن عذاري -المصدر السابق- ج1-ص72 - انظر أيضاً- ابن خلدون- المصدر السابق -

ج 4 - ص 411 .

(2) - اليعقوبي - البلدان - ص 102 .

(3) -المصدر نفسه - ص 345 .

(4) -حسن أحمد محمود - المرجع السابق - ص 52 .

(5) -الأدريسي - المصدر السابق - ج 1 - ص 313.

أهم القبائل التي أسهمت في نشر الإسلام في بلاد الكانم /

1 - الطوارق :-

يرجع أصل الطوارق إلى صنهاجه من البربر على رأى ابن خلدون⁽¹⁾ ويسمون أحياناً بالملثمين نسبة إلى انتشار اللثام بينهم ، وقد استقرت هذه القبائل منذ عصور بعيدة عند الحدود الشمالية لإقليم برنو⁽²⁾ ، ويؤكد هذا ابن خلكان بقوله : { انهم أصحاب ابل وخيل كثير ويسكنون الصحارى الجنوبية }⁽³⁾ ، والطوارق ينسبون أنفسهم للعرب ويقولون انهم من حمير ابن سبأ وقد جاءوا إلى منطقة شمال أفريقيا بعد خراب سد مأرب⁽⁴⁾ ، ولسنا بصدد مناقشة هذا النسب لأنه يخرج بنا عن موضوعنا الرئيسي وهو أثر هجرات الطوارق على انتشار الإسلام في الكانم. لقد أعتق الطوارق الإسلام بعد مرحلة الفتح العسكري ، حيث وصفوا بأنهم (على دين الاسلام وأتباع السنة)⁽⁵⁾، وحلت اللغة العربية تدريجياً محل لغاتهم القديمة ، ولعل مما ساعد على انتشار اللغة العربية والتمسك بها فضلاً عن الجانب الديني المرتبط بها أن الكثير من الشعوب الأفريقية في السودان الأوسط والغربي قد إدعى الأصول الشرقية⁽⁶⁾ ، وكان لإسلام الطوارق أثر كبير في قيام نشاط توسعي نحو الجنوب لنشر الإسلام ، ولعل أبرز الهجرات التي أسهم بها الطوارق في نشر الإسلام في منطقة بحيرة تشاد هي تلك الهجرة التي وفدت إلى المنطقة في بداية القرن الثالث الهجري " التاسع الميلادي " حيث استقر الطوارق بعد هذه الهجرة في منطقة بحيرة تشاد ، واختلطوا بالسكان المحليين وأدى هذا الاختلاط

(1) -ابن خلدون - المرجع السابق - ج 6 - ص 198

(2) - طرخان - المرجع السابق - ص 32 .

(3) -ابن خلكان - المصدر السابق - ج 3 - ص 476

(4) - المصدر نفسه - ج 3 - ص 476 ، أنظر أيضاً القشاش - المرجع السابق - ص 23

(5) -أحمد بابير الأروائي-جواهر الحسان في اخبار السودان - تحقيق : الهادي المبروك الدالي -بنغازي-دار

الكتب الوطنية - 2001-ص 56

(6) -السعدى - المصدر السابق - ص 4 .

إلى انتشار الإسلام بشكل تدريجي بين السكان ، ومما يؤكد هجرة الطوارق في هذه الفترة ارتباطها بظهور الأسرة الماغومية ، وبداية تأسيس دولة الكانم والبرنو على اعتبار أن هذه الأسرة تنتمي إلى نبلاء الطوارق .

2 - التيبو /

التيبو من القبائل البربرية القديمة التي سكنت منطقة الصحراء جنوب فزان وتحديداً في منطقة جبال تيبستي ، وقد عرف جزء من التيبو بأسم التيدا⁽¹⁾ وهم سكان الصحراء الواقعة شمال مرتفعات تيبستي ، ويجمع التيبو بين خصائص البيض والسود فملاحمهم لم تكن زنجية صرفه بل كانت تغلب عليهم السمرة بسبب اندماجهم مع الزنوج من جهة وتأثرهم بالدماء العربية من جهة أخرى⁽²⁾، ووجود التيبو في المنطقة قديم جداً وقد تميزت حياتهم بالاستقرار المؤقت في بعض أماكن جبال تيبستي، والاتجاه نحو الجنوب كلما قست عليهم الحياة الصحراوية .

لقد اعتنق التيبو الإسلام بعد وصوله إلى المنطقة ، والمرجح أن الإسلام بدأ يتغلغل في قبائل التيبو بعد حملة عقبة على كاوار "49 هـ / 669 م"⁽³⁾ ، وذلك لوجود التيبو بين هذا الإقليم وبين جبال تيبستي ، وكان للتيبو دور هام في نشر الإسلام في بلاد الكانم حيث زادت هجرات التيبو إلى المنطقة منذ القرن الثالث الهجري " التاسع الميلادي " واستمرت هذه الهجرات طيلة القرنين الخامس

(1)- تعنى كلمة التيبو: سكان الجبال نسبة لإقامتهم بجبال تيبستي بينما تعنى كلمة التيدا " سكان سفح الجبل " وهم فرع من التيبو فضلوا الإقامة في الواحات والسهول أنظر: فضل كلود - المرجع السابق - ص 70

(2)- Palmer - the Bornu Sahara .p 125

(3) - يرى بعض الباحثين أن التيبو هم الذين ذكرهم هيردوت ووصفهم بسكان الكهوف الذين يعيشون وراء ديار الجرمانيتين وربما أعتمد هذا الرأي على إنطباق الصفتين على التيبو وهى حياتهم فى الكهوف وكونهم يعيشون وراء ديار الجرمنت . أنظر عبد اللطيف البرغوثى - التاريخ الليبي القديم - بيروت - دار صادر - 1971 م - ص 16 .

والسادس الهجري "الحادي عشر والثاني عشر الميلادي" ⁽¹⁾، ويربط بعض الباحثين بين هذه الهجرة وبين أساطير الصو التي تتحدث عن سلطان البربر الذي طلب من ملك الصو أن يمنحه أرضاً فتناول ملك الصو قضيباً ضخماً من الحديد وطواه بيده حتى جعل منه دائرة كبيرة بلغ قطرها نحو مائة ميل ، ثم أذن لسلطان البربر في الإقامة مع قومه داخل نطاق هذه الدائرة ⁽²⁾، ولئن كان الطابع الأسطوري البعيد عن الواقع واضحاً في هذه الرواية فإن ما يهمننا منها أنها تتحدث عن هجرة بربرية إلى الجنوب ، وأن هذه الهجرة كانت سلمية ، ويرى بعض المؤرخين أن هذه الهجرة المقصودة في هذه الرواية هي هجرة التيبو الذين اعتنقوا الإسلام ، وأن هذه الهجرة حدثت بعد عام 200 هـ / 815 م ⁽³⁾، وهذا التاريخ يتفق مع ذكرناه فيما سبق من أن هجرة التيبو إلى الجنوب بدأت خلال القرن الثالث الهجري " التاسع الميلادي " وتحول التيبو بعد هذه الهجرة إلى دعاة للإسلام ، أما ماذكر عن التيبو من كثرة الغارات والحروب فيما بينهم، وقيامهم بنهب قطعان الماشية ، واختطاف النساء والأطفال واسترقاقهم ⁽⁴⁾ فالمرجح أن هذه الأعمال كانت قبل دخول التيبو الإسلام ، لأنه من المستبعد وجود مثل هذه الأعمال في مجتمع اعتنق الإسلام وتأثر بمبادئه التي تحارب مثل هذه الأعمال .

3 - الفولاني /

ينتمي الفولانيون إلى القبائل البربرية التي قطنت الشمال الإفريقي منذ القدم ويعرفون بأكثر من اسم فيسمون أحياناً " الفلاتا " وأحياناً " التيدا " ، وأحياناً أخرى

(1)- الذهبي - المصدر السابق - ج 1 - ص 37 .

(2)- طرخان - المرجع السابق - ص 28 .

(3)- المرجع نفسه - ص 28 .

(4)- الوزان - المصدر السابق - ج 2 - ص 168 .

" الفلب " (1)، ويرى بعض المؤرخين أن الفولانيين ينتمون إلى قبيلتي جهينة وتميم وقد وفد أجدادهم إلى شرق أفريقيا ومنها استقروا في أطراف حوض النيجر (2).
لقد اعتنق الفولانيون الإسلام ، وحاولوا إثبات نسبهم إلى الرجل الذي نشر الإسلام في مناطق الصحراء وهو عقبة بن نافع مما يدل على حرصهم على الارتباط بالنسب العربي (3)، وقد هاجر الفولانيون إلى منطقة بحيرة تشاد خلال القرن الثالث الهجري " التاسع الميلادي " ، وانتشروا خلال القرن الرابع والخامس الهجري " العاشر والحادي عشر الميلادي " في أقاليم بلاد الكانم والبرنو ، وكان لهم دور في نشر الإسلام في المنطقة ، حيث تدل المحارم (4) التي أصدرها مايات الكانم والبرنو على بروز عدد من العلماء الفولانيين الذين اعتمدت عليهم الدولة ، وأسندت إليهم مناصب القضاء والإمامة وإصدار الفتاوى مما يدل على رسوخ أبناء هذه القبيلة في الإسلام .

4 - القبائل العربية /

لقد تحركت القبائل العربية بعد الفتح الإسلامي لشمال إفريقيا فسكن بعضها مصر بينما توغل البعض الآخر في بلاد المغرب ، ووصل بعضها إلى مناطق

(1) يرجع تعدد اسماء الفولاني إلى تعدد علاقاتهم بجيرانهم حيث عرفوا بأسم " الفلاتا " عند الكانوري ، كما عرفهم اهل السودان الشرقي بأسم " التيدا " ، أما أسم " الفلب " فقد أطلقه عليهم قبائل الهوسا والطوارق p 242 . the Bornu Sahara - Palmer - انظر ايضا فضل كلود - المرجع السابق - ص 82

(2) الطيب عبدالرحيم - الفلاتة في افريقيا - الكويت - دار الكتاب الحديث - 1994 - ص 17
(3) - تدعى أسطورة هذا النسب أن عقبة بن نافع بعد توغله في أفريقيا ترك ألفين من جنوده على ضفاف نهر النيجر وقد تزواج هؤلاء الجنود من السكان الأصليين وحرفت كلمة ألفان إلى الفلان ، أنظر الهادي المبروك الدالي - قبائل الفلان - دراسة وثائقية - بنغازي - دار الكتب الوطنية - 2003 - ص 13 .

(4) - المحرم / امتياز يمنحه السلطان لإحد العلماء ويعفى بموجبه من الضرائب ويحصل على امتيازات مادية ومعنوية - " أنظر طرخان - المرجع السابق - ص 65 .

وسط أفريقيا ، ومن بينها بلاد الكانم ، ويعبر الفلقشندى عن هذا الانتشار بقوله :
" إلى أن كان الفتح الإسلامي فتوغلوا في البلاد حتى وصلوا إلى بلاد الترك وما
داناها وصاروا إلى أقصى المغرب وجزيرة الأندلس وبلاد السودان وملئوا الآفاق
وعمروا الأقطار "(1) ففي ذكر الفلقشندى لبلاد السودان إشارة للوجود العربي
المبكر بهذه المنطقة .

لقد أطلق على القبائل العربية التي استقرت في بلاد كانم اسم الشوا (2)
ومن أبرز هذه القبائل جهينه وجدام ولخم وبعض فروع قبيلة فزارة (3) ، وقد
تحركت أغلب هذه القبائل من مصر (4) الى الجنوب الغربي حيث استقرت في
منطقة بحيرة تشاد ، وأصبحت من العناصر السكانية التي لعبت دورا في تاريخ
هذه المنطقة وأسهمت في نشر الإسلام حيث اختلطوا بالسكان وانصهروا معهم {
فعندما آمن العرب اصبحوا مواطنين بهذه البلاد ممتزجين بالأفارقة } (5)، وكان من
نتيجة هذا الاختلاط تسرب مبادئ الإسلام من مصر التي قامت بدور هام في
استيعاب الهجرات العربية الوافدة من الجزيرة وصارت مركز الإشعاع الديني
والحضاري بعد الجزيرة العربية .

(1) - الفلقشندى - المصدر السابق - ج 6 - ص 19 .

(2) - الشوا : اسم أطلقه السكان المحليون على القبائل العربية التي استقرت في منطقة بحيرة تشاد
وهناك اختلاف حول مدلول هذا اللفظ ، فالبعض يرى أنه بمعنى جميل في لغة برنو ، والبعض
الآخر يرى انه يعنى القليل ، بينما يرى آخرون انه يعنى العصاه الخارجين عن الطاعة ورأى
آخرون انه مشتق من الشياه ورعي الأغنام ، ويميل الباحث الى الأخذ بالرأي الأخير بحكم اعتماد
أغلب القبائل العربية على الاغنام في حياتهم البدوية { انظر - ابراهيم صالح - المرجع السابق
ص3، طرخان - المرجع السابق ص30 }

(3) - اليعقوبي-تاريخ اليعقوبي-ج1-ص190، انظر ايضا : حسن احمد محمود - المرجع السابق

ص89

(4) - لمزيد من التفصيل حول هجرة القبائل العربية إلى مصر وأماكن استقرارهم بها أنظر : تقي

الدين أحمد المقرزي -البيان والاعراب عما بأرض مصر من الاعراب - تحقيق : عبدالمجيد

عابدين - القاهرة - دار عالم الكتب -1967- أنظر أيضاً - العمري- المصدر السابق- ج3-ص64

(5) - الوزان - المصدر السابق - ج 1 - ص41

2- دور التجار والدعاة في نشر الإسلام في بلاد الكانم/

لقد كانت العلاقة التجارية بين بلاد الكانم والمغرب قديمة جدا حيث عرفت الطرق التجارية التي تربط بين المنطقتين قبل ظهور الإسلام ، فالكانم بحكم موقعها وحاجتها إلى منفذ لمنتجاتها كانت على اتصال بالشمال الأفريقي منذ عهد بعيد ، فمنذ أقدم العصور كانت تربط منطقة طرابلس ببخيرة تشاد طرق تجارية عبر زويله بفران وواحات كاوار⁽¹⁾ ، وهذا يخالف ما ذكرته بعض المصادر من أن طريق زويله - كانم برنو قد تم افتتاحه بعد حملة عقبة على كاوار { 49هـ - 669م }⁽²⁾، وهذا الرأي لا يستقيم مع المصادر التي تحدثت عن العلاقات التجارية القديمة عبر هذا الطريق منذ أقدم العصور ، ثم ازداد النشاط التجاري بين الطرفين بعد ظهور الإسلام بحكم الاستقرار السياسي الذي أعقب الفتح العربي لشمال أفريقيا ، وما يهمننا هنا هو دور التجارة في نشر الإسلام في منطقة بحيرة تشاد ، وقد عرفت هذه المنطقة التجار في المرحلة الأولى { مرحلة ما قبل الإسلام } وهم يجسدون حياة الجاهلية في طرق تعاملهم مع الأفارقة ، وبدخول هذه الفئة في الإسلام تغير سلوكهم ومعتقداتهم فأصبحت حياتهم تسير بالمعيار الإسلامي⁽³⁾، فهذا الانقلاب الإيجابي سيولد بدون شك مجموعة من الأسئلة في نفوس السكان المحليين عن عوامل هذا التغيير وستوصلهم هذه الأسئلة تدريجيا إلى التعرف على

(1) - البعقوبي - البلدان ص 102 - أنظر أيضاً - أمين الطيبي - المرجع السابق - ص 77

(2) - الحموي - المصدر السابق - ج 4 ص 420

(3) - عطية مخزوم - دراسات في تاريخ شرق أفريقيا - جنوب الصحراء - بنغازي - جامعة فار

يونس - 1998 - ص 74

الإسلام ومبادئه الملازمة للفطرة البشرية ليجدوا في هذا الدين السماوي الحلول النهائية لمشاكلهم والأمان لحياتهم الاجتماعية التي تسودها الفوضى⁽¹⁾

لقد تأثرت التجارة بالأحداث السياسية التي شهدتها بلاد المغرب فبعد نجاح أصحاب المذهب الأباضي في تأسيس دولة لهم في تاهرت بالمغرب الأوسط في القرن الثاني الهجري / الثامن الميلادي وحرصت تلك الدولة على قيام حركة تجارية نشطة مع بلاد السودان

لقد كان للتجار الفضل في فتح أبواب التعامل بين المسلمين والوثنيين ، فكانت محكا جيدا للتعامل بين حضارة الوثنيين الواهية والحضارة الإسلامية المميزة التي استوعبت ما سواها⁽²⁾، وقد كان التجار المسلمون دعاة لدينهم عبر وسيلتين :

أ - الدعوة بشكل مباشر: وتتمثل في وجود بعض العلماء والفقهاء الذين فرغوا أنفسهم للدعوة إلى الاسلام مستعنيين بما يحملونه من فقه ، ولم ينشغلوا بأمور التجارة وقد استقر بعض هؤلاء في مناطق ماوراء الصحراء وكان لهم دور ملموس في اسلام الافراد والحكام بمنع أن التجار العرب لم يكونوا وحدهم بل ساهم الدعاة المتفرغون للدعوة في نشر هذا الدين⁽³⁾.

ب- الدعوة بشكل غير مباشر: وتتمثل في طريقة تعامل التجار المسلمين مع السكان المحليين حيث كانوا ينشرون الإسلام بسلوكهم الحسن ومعاملاتهم

(1) - الوزان-المصدر السابق -ج2-196- الدمشقي- المصدر السابق - ص 318 -أنظر أيضاً أحمد الفيتوري - الجاليات العربية المبكرة في بلاد السودان - مجلة البحوث التاريخية - طرابلس - مركز دراسات جهاد الليبيين - العدد الثاني - يوليو - 1981م - ص247

(2)- يرجع حرص الاباضيين على إقامة علاقات تجارية مع بلاد السودان إلى وضعيتها السياسية حيث كانت في عداة مستمر مع الدولة العباسية خاصة بعد ظهور إمارة الاغالبة الموالية للعباسيين ، وكذلك مع دولة الادارسة في الغرب فأصبح الاتجاه الاقتصادي نحو الجنوب خيار لا بديل له لاستمرار المقومات الاقتصادية لهذه الدولة (انظر - ادريس صالح الحرير - العلاقات الاقتصادية الثقافية بين الدولة الرستمية وبلدان جنوب الصحراء أثرها في نشر الإسلام هناك - مجلة البحوث التاريخية - طرابلس - مركز دراسات جهاد الليبيين - العدد 1 - يناير - 1981 م - ص78)

(3)- Ibrahim baba - Op cit -P141

الإسلامية الصادقة التي يقوم بها التاجر طواعية واختياراً لا تكلف فيه ولا تصنع⁽¹⁾، إذا فالتاجر المسلم قد أثر في المجتمعات التي وصل إليها باعتباره قدوة حسنة في السلوك، أما ما ذكره بعض الباحثين من أن التاجر المسلم (ما كان يدخل قرية وثنية⁽²⁾) فسرعان ما يلفت إليه الأنظار بكثرة وضوئه، وانتظام أوقات صلواته وعبادته التي يبدو فيها وهو خاشع لربه ومنظر سجوده وسكينته يضيفي عليه من المهابة والجلال ما يحرك فطرة الأفريقي الوثني⁽³⁾، فنعتقد أن ما يمكن أن يلفت الأنظار هو طريقة المعاملة الحسنة والصدق في المبادلات التجارية التي تجعل الأفريقي يتساءل عن سر هذا التغير الذي طرأ على التجار بعد دخولهم الإسلام، أما طريقة العبادة والخشوع والسكينة خلال الصلاة فهي أمور لا يفقه منها الأفريقي شيئاً، ولا يدرك أثرها إلا بعد اعتناقه للإسلام لذلك لانتوقع أن يكون تأثيرها كبيراً في لفت نظره.

إن نقص مصادر التاريخ الاقتصادي والاجتماعي لتلك الفترة، وتركيز المصادر على أحداث التاريخ السياسي قد حرمانا من التعرف على نماذج من هؤلاء التجار الذين أسهموا في نشر الإسلام في منطقة بحيرة تشاد، وربما يرجع السبب في ندرة المعلومات أيضاً إلى ازدهار العلاقات التجارية وكثرة التجار الوافدين إلى بلاد الكانم مما جعل الأمر مألوفاً لا يمكن حصره في أفراد، ولكن الذي لاشك فيه هو أن الدعوة الإسلامية كانت تسير بجانب التجارة.

(1) - الوزان - المصدر السابق - ج1 - ص 67 - أنظر أيضاً N. Levztion- Op- Cit -p68.

(2) - لقد كانت الوثنية هي الطابع المميز للحياة الدينية في بلاد الكانم والبرنو قبل وصول الإسلام فالتجار المسلمون كانوا يتعاملون مع هذا المجتمع الوثني قبل أن يتحول إلى الإسلام " أنظر موضوع حياة الكانم الدينية قبل الإسلام، في الفصل التمهيدى من هذا البحث "

(3) -حسن عيسى عبد الظاهر- المرجع السابق ص 79.

د / عوامل انتشار الإسلام في الكانم والبرنو

لقد رأينا فيما سبق أنه من المسلم به لدى المؤرخين أن الإسلام انتشر في الكانم والبرنو بصورة سلمية ، وبوسائل متعددة ، وهناك بالتأكيد أسباب وراء هذه الظاهرة وهي انتشار هذا الدين بدون وجود إدارة رسمية تشرف على الدعوة وبدون وجود جيش يحميها ، ويمكن تقسيم العوامل التي أدت إلى انتشار الإسلام في الكانم والبرنو إلى ما يلي :

أولا :- عوامل ذاتية تتعلق بالإسلام

نقصد بالعوامل الذاتية خصائص القوة في هذا الدين التي جعلته ينتشر في مناطق لم تصلها الجيوش الإسلامية ، بمعنى أن هناك أسبابا لاتتعلق بجهود الدعاة أو الأراضي التي انتشر فيها الإسلام بل تتعلق بقدرة هذا الدين على فرض نفسه بفعل خصائصه الملائمة للفطرة البشرية ولعل من أبرز العوامل الذاتية :

1- بساطة مبادئ العقيدة الإسلامية و ملاءمتها لكل عصر وبيئة ، فالمعروف أن الإسلام يتلاءم مع البيئات التي ينتشر فيها ويتخذ في كل منها طابعا محليا⁽¹⁾ ، ففي مناطق السودان الأوسط مثلا لم يقض الإسلام على النظم المحلية والعلاقات الاجتماعية المعتمدة على وحدة القبيلة بل أكسبها شكلا جديدا يتلاءم مع تقاليد الإسلام، ففي بلاد الكانم مثلا لم يُلغ الإسلام النظام القبلي الذي كان سائدا في المنطقة حيث كانوا (قبائل لا يلحق عددهم ولا يوقف على آخرهم لكثرة بطونهم وتشعب أفخاذهم وقبائلهم)⁽²⁾، فالإسلام لا يطلب من مقتنيه أن يفقد أحدهم قوميته ولا يقوض نظام الأسرة أو سلطة الجماعة .

2 - إن الإسلام لم يكن ديناً ينظم علاقة الإنسان بربه فقط ، بل كان نظاماً سياسياً واقتصادياً واجتماعياً ، ولو تناولنا الجانب الاقتصادي على سبيل المثال فنجد أن الإسلام ينظم الحياة الاقتصادية ، حيث أقر مبدأ اقتصادياً تعاونياً هو الزكاة وجعلها

(1) - حسن أحمد محمود - المرجع السابق - ص37

(2) - ابن حوقل - المصدر السابق - ص97

حقاً للفقراء في قوله تعالى " والدين في أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم "(1)، كما منع التعامل بالربا والغش ودعا إلى الوفاء بالعهود والصدق في المعاملة ، فهذه المبادئ وجد فيها الأفارقة عوامل للاستقرار والازدهار لذلك سارعوا لاعتناق هذا الدين ومما يؤكد تغلغل مبادئ هذا الدين في نفوس أهل كانم ما أقدمت عليه فاطمة أم الماي بيرى " 573 هـ / 1177 م " حيث أمرت بوضعه في السجن لأنه لم ينفذ أمر الشريعة الإسلامية بقطع يد السارق(2).

3 - كذلك من الأسباب الهامة التي ساعدت على انتشار الإسلام أنه لايعترف بالنفرقة العنصرية ، ويعامل أتباعه سواسية ، فالداخل للإسلام يصبح بعد نطقه بالشهادتين عضواً في المجتمع الإسلامي بدون النظر إلى جنسه أو لونه أو طبقته الاجتماعية وهذا من صلب المبادئ الإسلامية الواردة في قوله تعالى : " يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم "(3).

ومن التطبيقات الإسلامية العملية لهذا المبدأ أن الإسلام حد من ظاهرة الاسترقاق وحث على العتق ، وهذا الاتجاه مهم بالنسبة للأفارقة الذين عانوا من ذل الاسترقاق ، أما استمرار تجارة الرقيق فهي اختراق وخروج عن هذه المبادئ القرآنية السامية وتصرفات فردية يسأل عنها أصحابها وليست تطبيقاً عملياً لمبادئ الإسلام الداعية لحرية الإنسان .

4 - ارتباط الإسلام بالعلم . فالراغب في اعتناق هذا الدين كان عليه أن يتعلم القراءة ليستطيع أداء شعائره ، ومن هنا ترافق بناء الكتاتيب لتعليم القراءة والكتابة مع بناء المساجد . وأقبل الأفارقة على التعليم وواصل المتفوقون منهم دراستهم في المعاهد الإسلامية العليا في ذلك الوقت ، ومن جهة أخرى فإن المكانة التي جعلها الله للعلماء قد دفعت الأفارقة لدخول هذا الدين والحصول على نصيب من التعليم

(1) - سورة المعارج - الآية 23 ، 24.

(2) - ديوان الكانم والبرنو - ص 34 .

(3) - سورة الحجرات - الآية 13 .

لبلوغ هذه المكانة إذ يقول الله تعالى في كتابه العزيز "يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات" (1)، ولو طبقنا هذا المبدأ على دولة الكانم فسنجد أن حكام هذه الدولة قد اهتموا بالعلم و احترموا العلماء ويتجلى هذا بوضوح في ظاهرة إصدار المحارم التي تعطي امتيازات واسعة للعلماء وأسرهـم (2)، مما يدل على تغلغل المبادئ الإسلامية التي تحت على العلم في نفوس الحكام (3).

ثانياً / عوامل تتعلق بالدعاة : -

لقد راينا فيما سبق أن الإسلام انتشر عن طريق الهجرات والدعاة والتجار ولعل مما ساعد هؤلاء الدعاة على أداء مهمتهم أنهم لم يكونوا غريبين عن البيئة الأفريقية حيث كانت مظاهر الاتصالات بين أقطار الشمال الأفريقي والبلاد الأفريقية جنوب الصحراء ترجع إلى فترة سابقة على ظهور الإسلام (4)، فهذه الصلات القديمة قد أفادت رجال الدعوة في التعرف مسبقاً على المجتمعات الأفريقية وأساليب حياتها مما ساعدهم على اختيار الطرق المناسبة لنشر الإسلام في هذه المجتمعات (5)، كما أن ظاهرة الهجرات الجماعية المتجهة من الشمال إلى الجنوب كان لها دورها في تسهيل نشر الإسلام على اعتبار أن الدعاة لهذا الدين كانت تجمعهم أواصر النسب المشترك مع الكثير من القبائل المقيمة حول بحيرة تشاد " فهما اختلفت مظاهر الأفارقة البيض والسود فإنهم ينتمون تقريباً إلى نفس الأصل " (6) .

(1) -سورة المجادلة - الآية 11 .

(2) طرخان - المرجع السابق - ص 38 .

(3) سنتناول بعض العلماء الذين أشتهروا في دولة الكانم والبرنو وعلاقات هؤلاء العلماء ببلاد المغرب كنماذج للتواصل الثقافي بين بلاد المغرب ودولة الكانم والبرنو في الفصل الخامس من هذا البحث الذي يتناول العلاقات الثقافية بين بلاد المغرب ودولة الكانم والبرنو .

(4) - محمد فرج دغيم - التواصل الثقافي الإجتماعي بين الأقطار الأفريقية الواقعة على جانبي

الصحراء -دوة التواصل الثقافي والاجتماعي بين الاقطار الافريقية على جانبي الصحراء -كلية

الدعوة الإسلامية- طرابلس 1998 - ص 606 .

(5) A. Batran- Islam and revolution in Africa - United state Of American -1984-P9

(6) - الوزان - المصدر السابق - ج1-ص 35 .

من جهة أخرى فإن أحد أسباب انتشار الإسلام في الكانم والبرنو يتمثل في صدق وحماس الرجال الذين تحملوا مهمة الدعوة ، فكان الوازع الديني وطلب الآخرة أكبر باعث جعل هؤلاء الرجال يقطعون المسافات الطويلة ويتجشمون الصعاب ، ويتغربون عن أهلهم لعدة سنين لكي يصلوا إلى تلك البلاد يقطعون " مفاوز وبرارى قليلة المياه ، متعذرة المراعى" (1) ، بل منهم من ترك أهله نهائياً وأصبحوا " مواطنين بهذه البلاد ممتزجين بالأفارقة " (2) ، كذلك من العوامل التي ساعدت على نشر الإسلام في مناطق جنوب الصحراء الطريق التي وصل بها إلى هذه المنطقة ، فهو لم يصل عن طريق الفتوح العسكري كما هو الحال في شمال أفريقيا بل وصل بطريقة سلمية ، حيث اعتمد الدعاة على أسلوب عرض الدعوة وترك الناس بعد ذلك أحراراً في قبولها أو رفضها ، فلا شك أن هذا الأسلوب كان له أثره في تشجيع السكان على اعتناق هذا الدين ويعبر الوزان عن هذا المعنى بقوله : (فتمكن الإسلام حينئذ في هذه البلاد بصفة نهائية) (3).

ثالثاً / عوامل تتعلق بالأرض التي انتشر فيها الإسلام

لا شك أن العوامل الجغرافية تؤثر أحياناً في الأحداث التاريخية ، ولو طبقنا هذا على موقع بلاد الكانم لوجدنا أن هذا الموقع قد أثر بشكل إيجابي على علاقاتها ببلاد المغرب على اعتبار أنها "تمتد وراء صحراء زويله" (4) ، فوجود الصحراء الكبرى لم يكن في يوم من الأيام عائقاً أمام تطور العلاقات بين الشمال والجنوب ، كذلك كانت طرق الصحراء معابر للهجرات من الشمال إلى الجنوب فعدم وجود عوائق طبيعية تفصل بلاد الكانم عن منطقة الصحراء كان له دور في تسهيل انتقال الدعاة والتجار إلى هذه البلاد لنشر الإسلام بها ، بمعنى أن بلاد الكانم تعد

(1) -ابن حوقل - مصدر سابق - ص 100 .

(2) -الوزان - المصدر السابق - ج 1 - ص 41 .

(3) -المصدر نفسه -ج1- ص 68 .

(4) - البكري - المصدر السابق - ص 11 .

امتداداً لمنطقة الصحراء الكبرى⁽¹⁾ مما جعلها تتأثر بالمؤثرات الدينية والسياسية والاقتصادية التي تعرضت لها منطقة الصحراء ، ولعل أبرز المؤثرات انتشار الإسلام خلال القرن الأول الهجري " السابع الميلادي " وانتقال هذا الدين عن طريق الهجرات والدعاة والتجار إلى منطقة بحيرة تشاد بسهولة لعدم وجود موانع طبيعية تعرقل حركة نشر الإسلام بها .

كذلك من أسباب انتشار الإسلام في بلاد الكانم تشابه هذه البيئة مع البيئات التي جاء منها الإسلام سواء في بلاد المغرب أو مصدره الأول في شبه الجزيرة العربية مما سهل من مهمة إقامة الدعاة في بلاد الكانم والبرنو .

ويبدو هذا التشابه واضحاً في وصف الأدريسى للزغاوة بأنهم "قوم ضواغن رحاله والإبل عندهم كثيرة اللقاح حسنة الإنتاج ، وهم ينسجون المسوح من أوبارها والبيوت التي يعمرونها ويأوون إليها ، ويتصرفون في ألبانها وأسمانها ويتعيشون من لحومها"⁽²⁾ وهي نفس طرق المعيشة للسكان البدو في الجزيرة العربية أو شمال أفريقيا، كذلك لعب الطقس دوراً في هذا المجال فمناخ المناطق المتاخمة للصحراء من الجنوب ومن بينها منطقة بحيرة تشاد لا يختلف كثيراً عن مناخ الصحراء . لذلك اعتاد عليه أولئك الذين تولوا مهمة نشر الإسلام من الدعاة والتجار حيث عاشوا نفس الطقس في مناطقهم الأصلية ، كذلك من العوامل المتعلقة بالبيئة المحلية أن واقع الحياة في بلاد الكانم كانت تسوده الفوضى السياسية والدينية حتى أن الدمشقي يصفهم بقوله " وهؤلاء أكثرهم متوحشون لا يدينون بدين ولا يكادون يفقهون قولاً وهم بالحيوان أشبه منهم بالناس "⁽³⁾.

لذلك نجد أن هذه البيئة مهيأة لتقبل الإسلام خاصة بعد مالمسه أهلها من مظاهر تغير على حياة معتنقيه ، وأثره في توحيد المشاعر والقضاء على التشتت الديني والسياسي الذي عانت منه المنطقة قبل وصول الإسلام ، فالوثنيون كانوا ينظرون

(1) -أنظر الخريطة في الملحق رقم / 13

(2) -الأدريسى - المصدر السابق - ص 111 .

(3) -الدمشقي - المصدر السابق - ص 241 .

للإسلام على أنه دليل على الترقى إلى حضارة ومنزلة اجتماعية أسمى مما هم فيه⁽¹⁾.

لقد تداخلت العوامل التي ذكرناها، وأسهم كل عامل في نشر الإسلام في المنطقة بصورة تدريجية، وربما كان الرابط الوحيد الذي جمع بين هذه العوامل هو اعتمادها على الدعوة السلمية والاقتناع بصلاحية هذا الدين لتنظيم شئون الحياة، ونجحت هذه العوامل في نشر الإسلام في منطقة بحيرة تشاد بين الأفراد، ثم اتجهت الدعوة اتجاهاً إيجابياً تمثل في إقناع الأسرة الحاكمة بدخول الإسلام، وهو موضوع الفقرة الموالية.

و- إسلام الأسرة الحاكمة ودورها في نشر الإسلام

لقد تحدثنا فيما سبق عن وصول الإسلام إلى بلاد الكانم والبرنو، وكيف انتشر بين السكان المحليين بعدة وسائل وبجهود مجموعة من الدعاة والملاحظ أن جهود الدعاة والتجار تركزت في تلك الفترة على الأفراد العاديين، ولم يتم إتصال بالأسرة الحاكمة، ويمكن أن نستنتج من طول المدة الفاصلة بين بداية الدعوة في القرن الثانى الهجرى/ الثامن الميلادى وبين وصول الإسلام إلى افراد الاسرة الحاكمة في القرن الخامس الهجرى /الحادى عشر الميلادى أن الإسلام قد انتشر أولاً بين السكان بحيث لم يصبح غريباً في البلاد ، كما أننا لا نتفق مع الرأي القائل بأن النظام السياسي في الكانم كان يحول دون توسع انتشار الإسلام⁽²⁾، بل نعتقد أن حكام الكانم قبل القرن الخامس الهجرى / الحادى عشر الميلادى قد تركوا مسألة اعتناق هذا الدين مسألة فردية ، وذلك حرصاً على ضمان ولاء رعيتهم ، خاصة وأن الإسلام لم يقض على نظمهم المحلية ولم يمنع احترام الرعية لحكام البلاد ،وكذلك هناك سبب آخر وراء هذا التصرف من قبل الحكام ،

(1) -توماس أرنولد - الدعوة إلى الاسلام -ترجمة : حسن إبراهيم -عبدالمجيد عابدين -القاهرة مكتبة

النهضة المصرية -1971-ص336

(2) -صباح إبراهيم الشخلى - المرجع السابق - ص 127 .

وهو أن أغلب الدعاة والتجار كانوا ينتمون إلى مناطق الشمال⁽¹⁾، لذلك لم يكن من مصلحة هؤلاء الحكام معاداة القبائل الشمالية حرصاً على العلاقات التجارية التي تربطهم بالشمال الأفريقي الذي يسوده الإسلام عقيدة ونظاماً .

لقد ذكر بعض الباحثين أن بداية اعتناق الأسرة الحاكمة للإسلام كان في القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي² وتحديداً في عهد الماي أومي جلمى⁽³⁾ 478 - 491 هـ / 1085 - 1097 م ، ويستند هذه الرأي على المحرم الصادر من اوم جلمى الذي يمنح امتيازات للفقية محمد بن ماني حيث يذكر المحرم أن أول بلد دخله الإسلام في السودان هو برنو ويشير المحرم إلى أن الفضل يرجع إلى الداعية محمد بن ماني الذي عاصر خمسة من مائات الكانم وهم الماي بولو وكان يحكم حوالي 411 هـ / 1020 م ، ثم الماي أركى وكان يحكم خلال سنة 427 هـ / 1035 م ثم الماي كاداي الذي كان يحكم خلال سنة 468 هـ / 1075 م ثم الماي عبدالجليل " جلمى " وأخيراً عاصر هذا الداعية فترة 14 سنة من حكم الماي أومي جلمى صاحب المحرم ، كما يذكر المحرم أن محمد بن ماني قد اقنع هؤلاء المائات بالإسلام وعلم كل واحد منهم عدد من السور القرآنية⁽⁴⁾.

أن أول مايمكن استفادته من المعلومات الواردة في هذا المحرم هو وجود الإسلام في البلاد منذ فترة مبكرة ، حيث أشار إلى أن أول بلد دخله الإسلام في السودان هو برنو، وهذا يؤكد ما ذهبنا إليه من تغلغل الإسلام في صفوف السكان عن طريق الهجرات والدعاة والتجار قبل أن يصل إلى الأسرة الحاكمة بزمان طويل ، كذلك فإن هذا المحرم يجعلنا نشك في المعلومات الواردة في بعض المراجع⁽⁵⁾

(1) -الوزان - المصدر السابق - ج1-ص 62 .

-Samuel Decalo - Historical Dictionary of Chad -p9

(3) - أومي جلمى : حكم فيما بين 1085 - 1097 م ويعتقد بعض الباحثين أنه أول من دخل الإسلام من مائات كانم ، وقد أصدر محرم للفقية محمد بن ماني " أنظر - فضل كلود - مرجع سابق - ص 116 .

p14 - Palmer - the Bornu - Sahara (4)

(5) - طرخان - المرجع السابق - ص 69 .

والتي ترى أن أول ماى مسلم في الكانم هو أومى جلبي ، فالواضح من المحرم أن الداعية محمد بن مانى قد نجح في إقناع الماي بولو وبقية المايات الذين عاصروهم قبل أن يصل إلى عهد أومي بدليل ما ورد في المحرم من أنه علم كل واحد منهم عدد من السور القرآنية مما يؤكد اعتناقهم للإسلام ، لذلك يعد الماي بولو هو أول حاكم يعتنق الإسلام من حكام الكانم والبرنو وليس أومى ، وربما كان سبب هذا اللبس الذي وقع فيه بعض المؤرخين هو صدور المحرم في عهد أومي ، وكذلك لأن الماي أومي هو أول ماي معروف قام بدور كبير في نشر الإسلام⁽¹⁾.

إن وصول الاسلام إلى الاسرة الحاكمة في بلاد الكانم والبرنو في فترة مبكرة خلال القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي يؤكد حقيقة مهمة وهي ان جهود الدعاة لم تقتصر على عامة الناس بل ركزت في الوقت نفسه على الطبقة الحاكمة بدليل نجاح الداعية محمد بن مانى في اقناع خمسة من حكام دولة الكانم والبرنو بالدخول في الاسلام.

لم تذكر لنا الروايات المحلية الظروف التي صاحبت اعتلاء أول حاكم مسلم للسلطة في كانم وهل تسلم هذا الحاكم الحكم من سلفه الوثني عن طريق الإرث أم القوة ؟ وهل كان مسلم قبل أن يتولى السلطة أم أسلم بعد ذلك ؟ فديوان الكانم والبرنو لم يذكر لنا تفاصيل عن هذا الموضوع ،ولكننا نرجح ان تزايد النفوذ الإسلامي في الكانم والبرنو نتيجة لجهود الدعاة والتجار ، وكذلك هجرات القبائل من الشمال بعد أن اعتنقت الدين الإسلامي⁽²⁾ قد أثر في إضعاف السلطة الوثنية في البلاد بالإضافة إلى استقرار الإسلام في شمال أفريقيا ومادى إليه من تزايد فرصة وصول حاكم مسلم لحكم دولة الكانم والبرنو .

(1) - طرخان - المرجع السابق - ص 69 .

(2) - الوزان - المصدر السابق - ج1- ص 62 .

دور حكام الكانم والبرنو في نشر الإسلام /

لقد كان إسلام الأسرة الحاكمة في دولة الكانم خلال القرن الخامس الهجري " الحادي عشر الميلادي " حدثاً كبيراً أثر على أوضاع الإسلام في الدولة بشكل تدريجي فكان اعتناق الأسرة الحاكمة للإسلام ثم انتشار الإسلام على نطاق واسع بين أهل البلاد إيذاناً بانتشار الدعوة للإسلام خارج بلاد الكانم ، حيث تحول هؤلاء الحكام إلى دعاة لنشر الإسلام بين القبائل الوثنية .

لقد رأينا فيما سبق أن أومي جلمى لم يكن أول من أعتنق الإسلام في مايات الكانم، ولكن يبدو أن المايات الذين سبقوه لم يصلوا إلى درجة العمل على نشر الإسلام داخل وخارج البلاد ، أما الماي أومي فقد تحمل مسؤولية تطبيق الإسلام بشكل عملي وإعادة بناء الدولة على أسس إسلامية وهي بدون شك مهمة صعبة ، لإن الناس اعتادوا على ما وجدوا عليه آبائهم وأجدادهم، كذلك عمل أومي على نشر الإسلام في المناطق المجاورة ، ووضع بذلك نواة العمل الجهادي الذي قام به من جاء بعده من الحكام .

هكذا أصبحت دولة الكانم في عهد اومي راعية للإسلام في المنطقة ، وقد عمل هذا الماي على توسيع حدود دولته ، وقد ساعده في ذلك جيش قوى وصل عدده إلى مائة ألف⁽¹⁾، كما قام هذا الماي بخطوة تعبر عن حرصه على أداء الشعائر الدينية حيث كان أول ماي يقوم بأداء فريضة الحج سنة " 491 هـ / 1097 م " ، ثم وافته المنية في مصر أثناء عودته من الأماكن المقدسة⁽²⁾، واصل خلفاء أومي سياسته في توسيع الدولة ونشر الإسلام ، وسنركز على أبرز المايات

(1) - ديوان الكانم والبرنو - ص 32

(2) -المصدر نفسه - ص 32 .

الذين قاموا بدور في نشر الإسلام حيث واصل دونمه بن أومي⁽¹⁾ " 492 - 546 هـ / 1098 - 1151 م " سياسة أبيه في القيام بحملات عسكرية للمحافظة على حدود الدولة ونشر الإسلام في صفوف الوثنيين خاصة في الجنوب ، كما قام هذا الماي بثلاث رحلات حج إلى الأراضي المقدسة⁽²⁾ مما يعبر عن حرصه على أداء الشعائر الدينية ، وكذلك حرصه على الالتقاء بإخوانه المسلمين ، حيث كان الحج فرصة للتعارف وتبادل الأفكار .

أما في عهد بيرى بن دونمه " 546 - 572 هـ / 1151 - 1176 م " ، فقد وقعت حادثة دلت بشكل واضح على تمسك أفراد الأسرة بالإسلام ، فقد أقدم الماي بيرى على إعدام أحد اللصوص ، ولم تذكر لنا المصادر أسباب إقدام بيرى على هذه الخطوة ، ولكن المهم أن الأمر لم يمر بل أمرت أم الماي بيرى وتسمى فاطمة بوضع ابنها في السجن لأنه خالف تعاليم الشريعة الإسلامية التي تقضى بقطع يد السارق ، وبقي هذا الماي في السجن لمدة سنة

كذلك قام الماي عبدالجليل " سالما 591 - 617 هـ / 1194 - 1220 م بدور كبير في نشر الإسلام وترسيخ قواعده في بلاد الكانم حيث زاد عدد المساجد في عهده ، كما قرأ هذا الماي حوالى 150 كتاباً على يد العالم عبدالله ديلى بن بدر ، وقد كافأ هذا الماي معلمه بأن عينه إماماً للمسجد الذي قام ببنائه ، كما أصدر محرماً منحه فيه وأسرته امتيازات مادية ومعنوية مثل الإعفاء من الضرائب⁽³⁾ .

لقد كان عصر دونمه دباليمى " 618 - 658 هـ / 1221 - 1259 م " العصر الذهبي لانتشار الإسلام في المنطقة حيث أقدم هذا الماي على خطوة مهمة حطمت بقايا العبادات الوثنية في بلاد الكانم وذلك بتخطيطه أسطورة الوثن

(1) - دونمه بن أوم : أحد مايات الكانم والبرنو ، تولى الحكم خلال الفترة 492 - 546 هـ / 1098 - 1151 م " وقد اشتهر بتمسكه بالدين ، وقد زاد انتشار الإسلام فى عهده ، وبنى أول مسجد فى مدينة بالال الواقعة شرق الكانم . " أنظر - طرخان - المرجع السابق - ص 69 "

(2) - نيوان الكانم والبرنو - ص 32

(3) - طرخان - المرجع السابق - ص 69 .

المعروف باسم " ميون " الذي كان محاطاً بالخرافات والأوهام حيث كان بعض السكان يعتقدون أن بقاء هذا الوثن مغلقاً هو السبب في انتصاراتهم⁽¹⁾، وربما كان هذا سبباً في عدم تعرض سلاطين كانم قبل دونمه لهذا الوثن حتى لا يثيروا مشاعر بعض السكان ولكن دونمه أقدم على هذا العمل الذي كان من نتائجه تنقية المجتمع وتطهيره من الخرافات والبدع الوثنية التي لم تزل آثارها عالقة بأذهان العامة ، كذلك هناك خطوة أخرى تدل على ارتباط هذا الماي بالعالم الإسلامي وحرصه على التأسى بحكامه فقد كان دونمه أول ماي يطلق عليه لقب "أمير المؤمنين" ، وذلك تأسيساً بالسلطان الحفصي "المستنصر" (2) ، وهو أول سلطان حفصي يطلق عليه هذا اللقب⁽³⁾ .

أما الماي عثمان بن زينب " 678 - 700 هـ / 1279 - 1300 م " فقد اقترن عصره بنشاط كبير في مجال الدعوة الإسلامية ، حتى قيل أن هذا الماي هو الشخص المقصود بالهادي العثماني الذي ذكرت الروايات المحلية أنه من دعاة الإسلام في بلاد الكانم⁽⁴⁾، ولكن هذا الرأي مشكوك فيه بحكم الفترة الزمنية

(1) -إبراهيم صالح - المرجع السابق - ص 81 .

(2) -المستنصر: هو عبدالله محمد بن زكريا ، تولى حكم الدولة الحفصية خلال الفترة " 647 675 هـ / 1249 - 1276 م " وهو أول حاكم حفصي يعلن نفسه خليفة حيث تلقب بلقب أمير المؤمنين سنة 651 هـ / 1253 م " ، وأشتهر عهده بازدهار العمارة ونشاط العلاقات الخارجية حيث وصلته البيعة بالخلافة من مكة المكرمة سنة 659 هـ / 1260 م ، كما وصلته سفارة من الماي دونمه دباليمة سنة 672 هـ / 1273 م أنظر ابن خلدون - المصدر السابق - ج6 - ص358 - انظر أيضاً حسين مؤنس - تاريخ المغرب وحضارته - بيروت - دار العصر الحديث - 1992 م ج2 - ص 225 .

(3) -فضل كلود - المرجع السابق - ص 104 .

(4) -عثمان بن زينب : أحد مايات الكانم والبرنو في أواخر المرحلة الكانمية وقد أستمر في الحكم حوالي 22 سنة وأقترن عهده بنشاط الدعوة الإسلامية ويبدو أن هذا الماي قد شجع الحركة العلمية حيث ذكر بالمر أن إثنين من علماء الفولانيين المسلمين قد اتوا من مالي ودخلوا في طاعة الماي عثمان فشجعهما على نشر الدعوة الإسلامية في بلاده أنظر : Palmer - The Bornu Sahara and Sudan p . 189

وإبراهيم طرخان - المرجع السابق - ص 71 .

الطويلة التي تفصل بين بداية انتشار الإسلام في الكانم وبين عهد الماي عثمان ، كما تذكر الروايات المحلية أن عثمان بن زينب هو خليفة المسلمين ، وأن ترتيبه في الخلافة يأتي بعد الخليفة عمر بن عبدالعزيز " 99 - 101 هـ / 717 - 719 م " ، ولا يمكننا الاطمئنان لهذه الرواية بحكم الفترة الزمنية التي تفصل بين عهد عمر بن عبدالعزيز الذي حكم خلال القرن الثاني الهجري " الثامن الميلادي " ، وكذلك بسبب مايعرفه الجميع من استمرار الخلافة في بنى أمية ثم انتقالها إلى بنى العباس سنة 132 هـ " 750 " ، ولكن هذه الرواية تدل على شعور حكام كانم بالانتماء للعالم الإسلامي وتأثرهم بالأحداث الجارية فيه باعتبارهم جزءاً منه. لقد سادت فترة من الفوضى السياسية خلال القرن الثامن الهجري القرن / الرابع عشر الميلادي" بسبب الصراع بين حكام هذه الدولة وبين قبائل الصو والبولالا مما دفع الأسرة الحاكمة إلى مغادرة كانم والاتجاه غرباً حيث استقروا غرب بحيرة تشاد لتبدأ مرحلة برنو ، ولم تكن هناك جهود تذكر في مجال نشر الإسلام⁽¹⁾.

أما خلال مرحلة البرنو فقد كان أبرز المايات الذين أسهموا في نشر الإسلام وإقامة علاقات وثيقة مع الدول الإسلامية المعاصرة له هو الماي أدريس ألوما (978 - 1012 هـ / 1570 - 1603 م) الذي يعد من أعظم السلاطين الذين قاموا بنشر الإسلام في منطقة السودان الأوسط⁽²⁾ ولعل ماخلد أعمال هذا الماي وجود مؤرخ عاش في بلاطه هو أحمد بن فرتوا الذي سجل أعماله في مؤلفه " إدريس ألوما وغزواته " ووصفه فيه بأنه شديد التمسك بالكتاب والسنة ، شديد الكراهية لأهل البدع والمحدثات⁽³⁾ ، كما اعتنى بتدعيم حكم الشرع وأوكل للقضاء مهمة حراسة الشريعة وأكثر من بناء المساجد⁽⁴⁾ كما اشتهر هذا الماي

(1) - العمرى - المصدر السابق - ج2- ص97

(2) - فضل كلود - المرجع السابق - ص 107

(3) - المرجع نفسه - ص 107 لمزيد من التفاصيل حول الفترة الأولى لحكم الماي إدريس ألوما أنظر : Ahmed ibn Fartua -History Of The first twelve years of the reign of mai Idirs Alooma Of Bornu (1572-1583)-notes by H.R Plamer - Lagos - 1926

(4) - المرجع نفسه - ص 107

بكثره حملاته العسكرية على المناطق الوثنية في الجنوب حتى اشتهر بأنه سلطان لا يغلب ، بالإضافة إلى حرصه على توثيق علاقاته بالدول الإسلامية في شمال أفريقيا .

نخلص من هذا إلى أن لسلطين كانم دوراً بارزاً في نشر الإسلام والحضارة في منطقة السودان الأوسط ، ويعود الفضل لهؤلاء السلاطين في وضع الأسس المتينة لتطبيق الشريعة الإسلامية في البلاد ، ونشر الإسلام في المناطق المجاورة لبحيرة تشاد ، وهذا يخالف ما ذكره بعض الباحثين من أن الإسلام لم تكن له جذور عميقة قبل القرن السابع الهجري " الثالث عشر الميلادي " في كانم⁽¹⁾ ، فالحقيقة أن الجذور الإسلامية قد وجدت منذ وصول الإسلام إلى الشمال الأفريقي حيث انتقلت الدعوة الإسلامية عن طريق التجار والدعاة والهجرات إلى منطقة بحيرة تشاد .

فهذه البلاد بلغها الإسلام وجاسوا خلالها⁽²⁾ منذ فترة مبكرة ، ثم أصبح الإسلام هو الدين الرسمي للدولة خلال القرن الخامس الهجري " الحادي عشر الميلادي " بإسلام الأسرة الحاكمة ، ولم يأت القرن الثالث عشر حتى أصبحت دولة كانم إحدى الدول الإسلامية في منطقة الصحراء بل عمل حكامها كما رأينا على نشر الإسلام في المناطق الوثنية المتاخمة لهذه الدولة من ناحية الجنوب .

و / أثر الإسلام على مظاهر الحياة في دولة كانم والبرنو

كان لانتشار الإسلام في دولة كانم والبرنو آثار كبيرة على مختلف المجالات على اعتبار أن الإسلام دين شامل لا يقبل التجزئة ، ففي جانب العقيدة قضى الإسلام على التشنت الديني ووجد العبادة فبعد ان كانوا " يعبدون الكواكب ويقربون لها القرابين " ⁽³⁾ أصبحوا مسلمين يعبدون الله وحده ، (واعتبروا أن تطبيق الشريعة جزء من عقيدتهم الإسلامية) ⁽⁴⁾ ، وقد رأينا كيف دمر الماي دونمه آخر وثن كان مرتبطاً بالفترة السابقة لدخول الإسلام للمنطقة .

(1) - ديرك لانجى - المرجع السابق - ص 261 .

(2) - الدمشقى - المصدر السابق - ص 241

(3) - الوزان - المصدر السابق - ج1 - ص 67

(4) J . N . D . Anderson -Islamic Law In Africa - London -1967- _P9

أما من الناحية السياسية فقد ساعد وجود الإسلام على خلق نظام سياسي يرتبط فيه الحاكم والمحكوم برباط ديني بعد ان كانوا " قبائل لايلحق عددهم ولا يوقف على آخرهم "(1) حيث تمكنت الأسرة الحاكمة بعد اعتناقها للإسلام من السيطرة على البلاد وتوطدت علاقاتها بالحكام والمسلمين في شمال أفريقيا (2) ، واصبح الإسلام هو الأساس في قوة دولة الكانم واتساعها.

كذلك أدى انتشار الإسلام في الكانم والبرنو إلى ازدهار الحياة الاقتصادية بسبب توطيد العلاقات مع شمال أفريقيا من جهة وبسبب شيوع الأخلاق الإسلامية عند التجار كالوفاء بالعهد والصدق في المعاملة ، وقد أدى هذا الازدهار الاقتصادي إلى درجة كبيرة من الثراء خاصة في بلاط الملوك حيث يصف لنا الوزان الذي زار برنو في أوائل القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي ثراء ملك برنو فقال : (وقد رأيت كل مايجوز به خيله من ركابات ومهامز وأعنة كلها من الذهب وكذلك القصاع والأواني معظمها من الذهب والسلاسل حتى سلاسل كلاب الملك كلها من الذهب الخالص) (3) .

أما تأثير الإسلام على الحياة الاجتماعية في الكانم والبرنو فقد كان واضحاً حيث قضى الإسلام على العادات الوثنية وعمل على تهذيب العادات القائمة ، وبالقضاء على هذه العادات أصبح أهل كانم بشهادة محمد بن بللو متمسكين بالقرآن وشريعة الإسلام (4) ويؤكد بللو حرص أهل كانم على حفظ القرآن وانتشار هذه الظاهرة في بلادهم بقوله : (وقد انتشر الإسلام فيها انتشاراً بين سلاطينهم ووزرائهم وعامتهم بل لا يوجد في هذه البلاد عامة إلا معتنون بقراءة القرآن

(1) - ابن حوقل - المصدر السابق - ص 97

(2) - تعد الدولة الرسمية التي أقامها الأبااضيون في منطقة تاهرت بالمغرب الأوسط أول دولة تقيم علاقات سياسية إقتصادية مع دولة الكانم والبرنو فهذه الدولة كانت محاصرة بأعدائها الأغلبية الذين يتبعون العباسيين من الشرق والأدراسة من الغرب لذلك لم يكن أمامها إلا توطيد علاقاتها مع الجنوب

:أنظر - ادريس الحرير - المرجع السابق - ص 77

(3) - الوزان - المصدر السابق - ج2- ص 177

(4) - محمد بللو - المصدر السابق - ص 34

وتجويده وحفظه وكتابه (¹) ، فارتباط الإسلام بالعلم قد أدى إلى انتشار المساجد والكتاتيب التي تقوم بأداء رسالة علمية ، وزاد من إقبال أهل كانم على العلم ارتباطه بأداء الشعائر الدينية .

نخلص من هذا إلى التأكيد على دور الإسلام وتأثيره على مختلف جوانب الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية في مجتمع كانم ، بمعنى أن انتشار الإسلام في المنطقة كان نقلة حضارية غيرت وجه الحياة في كانم وحولتها من بلاد تتنازعها الخلافات الدينية والأهواء السياسية والفوضى الاقتصادية إلى دولة مستقرة موحدة لها نظامها السياسي ، وجيشها الموحد الذي يحافظ على حدودها بل ويجتاز هذه الحدود لينشر الإسلام في المناطق المجاورة ، وقد عبر الدمشقي عن هذه النقطة الحضارية التي صاحبت انتشار الإسلام في كانم بقوله " (وهؤلاء أكثرهم متوحشون لا يدينون بدين ولا يكادون يفقهون قولاً وهم بالحيوان أشبه منهم بالناس ، فهذه البلاد بلغها الإسلام وجاسوا خلالها) (²) .

(1) - محمد بللو - المصدر السابق - ص 34 .

(2) - الدمشقي - المصدر السابق - ص 241 .